

تحديث النقد الجزائري

أ.د. علي خذري

جامعة الحاج لخضر - باتنة

طرح الإشكالية:

إن المتتبع للحركة النقدية الجزائرية المعاصرة، يجد شبه إجماع لدى أهل الدراية من النقاد على ما يعانيه الخطاب النقدي من أزمت. أزمة في التأسيس لكسب شرعية الوجود كأبي مشروع فكري ، وأزمة في النهج الذي به يترجم هذه المشروعات ، وأزمة في المصطلح باعتباره المفتاح الرئيسي للولوج الى بوابة العلوم و عالم المفاهيم والأفكار . هذا ما يدفعنا إلى التساؤل هل توجد تجارب تأسيسية للنقد الجزائري المعاصر ؟ هل استطاع هذا النقد بلورة فكر نقدي متميز على الصعيد العربي ؟ أم كان نتاجه حصيلة تأثره بالمد الثقافي المشرقي ؟ فاعتمد آلياته ووسائله وطبقها على الأدب الجزائري ؟ هل في الجزائر اجتهادات نقدية تعمل على تطوير الممارسات النقدية أم أن هذا النتاج لا يعدو كونه اجتهادات فكرية فردية .

كل هذه الأسئلة ضمنا أو مباشرة ضرورية لإعطاء القراءة التي نحاول أن ننجزها حول راهن النقد الجزائري وآفاقه. ولتجسيد مختلف هذه الأسئلة يتعين علينا معالجتها ضمن المحاور التالية:

_ مرحلة التأسيس _ تجربة التحديث _ الآفاق

حتى يخرج البحث من الجانب التجريدي الى السند المادي، وإضفاء الصيغة التمثيلية وقع الاختيار على مجموعة من النقاد ، بلقاسم سعد الله ، صالح خرفي، عبد الله ركيبي، محمد مصايف، محمد ناصر، باعتبارهم من الدارسين الذين أسسوا للنقد الجزائري المعاصر من خلال الأعمال الأكاديمية التي قدموها. كما تركز الحديث في المحور الثاني عن تجربة عبد المالك مرتاض التحديثية الداعية إلى تجديد مناهج النقد العربي بغية تجاوز الأزمة التي يعانيها الخطاب النقدي العربي .

أولاً: التجارب التأسيسية

ظهرت التجارب التأسيسية في الجزائر مع التحولات التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الفترة التي تعرف بالنهضة في المشرق العربي إذ وجد الجزائريون أنفسهم أمام المعرفة المشرقية التي كانت قد خطت خطوات إلى الأمام في مجالات مختلفة. وكان على المثقف الجزائري أن يتفاعل مع هذه المعرفة، وأن يخرط في هذه الحركة الجديدة، وأن يبتعد عن النقد القديم الذي خيم على الأذهان فترة طويلة، والذي ظل عبارة عن شروح وحواش وتعليقات نحوية و لغوية على النص الأدبي هذا النقد ذو الملامح القديمة ظل مستمرا يجد من ينتصر له، ولكنه كان يمثل مكانة محدودة. وبعد الاحتكاك المباشر بالمد الثقافي المشرقي وهيمنته على الفكر النقدي الجزائري، إذ كان النقاد يستندون إلى الثقافة المشرقية عن خبرة ووعي، فكانوا يطبقون القواعد والتقاليد بإتقان، وكانوا يعتقدون أن هذا هو السبيل الوحيد لتأسيسي نهضة أدبية عربية صميمة. وإذا ما راجعنا سير كثيرين من نقادنا الجزائريين وجدناهم يتخرجون من الجامعات المشرقية، وتكونت ثقافتهم واتجاهاتهم النقدية.

في خضم الحركة النقدية التي عرفها المشرق العربي. فقد كونت الجامعات المشرقية كافة هؤلاء النقاد المؤسسين ووقعوا تحت تأثيرها، فعلى سبيل المثال فقد تكون فكر سعد الله في ظل هذه المدرسة وطبق المنهج التاريخي في كتابه عن محمد العيد آل خليفة، ودراسات في الأدب الجزائري الحديث الذي قاده فيما بعد إلى الجمع بين الأدب والتاريخ¹ والمنهج نفسه طبقه صالح خرفي في كتاباته المختلفة. كما شكلت تلك الجامعات فكر محمد مصايف الذي تأثر بكتابات محمد مندور، والنقد الانطباعي بصفة عامة لذي يجمع بين البعدين الجمالي و الدلالي. ونجد التنظيرات الأولى لهذه الخلفية في كتاباته النقدية ((مدرسة الديوان النقدية))، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، وفصول في النقد وغيرها. ولم يقتصر تأثير المشرق العربي على الناقدين السابقين بل شمل أيضا عبد الله الركيبي في مجمل كتبه الشعر الديني الجزائري، وقضايا عربية، والأوراس في الشعر العربي، ومبارك جلواح وسواها من الدراسات التي كانت تعتمد على تفسير الأعمال الأدبية من خلال المضمون الشعري. والعلاقات بين الشاعر والبيئة مما أدى إلى المطابقة بين

¹ د/ يوسف وغيلسي، النقد الجزائري المعاصر في الألسنية إلى السنة ، إصدار رابطة إيداع الثقافة الجزائر

التجربة وبين حياة الشاعر، ولذلك أصبح الشعر عندهم ذا بعدين: بعد ذاتي يعبر عن حياة الشاعر من خلال سيرته التي يراعي فيها التسلسل التاريخي والظرفي والبعد الموضوعي يعبر فيه عن المتلقي الذي يتلقى الشعر ويتجاوب معه على نحو ما نرى في قوله ((وإذا كنا نلج على التفسير الاجتماعي للأدب. دون إهمال الجوانب الأخرى، فإننا نؤمن بأن الشعر نشاط يعكس ما يجري في بيئة الشاعر. من أحداث ووقائع ومفاهيم¹

ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى الدور الكبير الذي اضطلع به عبد المالك مرتاض في تطبيق المنهج التاريخي في مؤلفاته النقدية الأولى فنون النثر الأدبي في الجزائر، فن المقامات في الأدب العربي، وكذا نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، لكن سرعان ما ضرب صفحا عن هذا المنهج وعدل عنه إلى غيره من المناهج الحديثة.

وإلى جانب هؤلاء النقاد، ثمة أسماء أخرى أسهمت في التجربة النقدية الحديثة في الجزائر. وتأثروا بالتيارات النقدية العربية ومناهجها كمحمد ناصر في كتابه الأدب الجزائري الحديث الذي حاول فيه أن ينتقل نقله نوعية من المنهج التاريخ إلى المنهج الفني، مما وسع في آفاق النقد الجزائري الحديث واكسبه مرونة خاصة وجعله يطبق النهج الفني.

إن ما يجمع بين هذه الدراسات النقدية الأولى على اختلاف تجلياتها المنهجية. هو انطلاقها من التركيز على السياق التاريخي والمحيط الاجتماعي والظروف النفسية والبيئية الخارجية المؤثرة في العمل الأدبي والمحددة لمختلف اتجاهاته وتياراته، والتي تظهر بأشكال متعددة سواء في المواقف والرؤية المعرفية سواء تعلق الأمر بالكاتب أو الظاهرة التي يمثلها. لقد أنجز في هذه المرحلة الشيء الكثير، ورغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى هذه الأعمال، لا سيما في مرحلة لاحقة، غير أنه يمكن تسجيل بعض المنجزات الهامة التي أنجزها هذا الجيل.

- 1- جمع النصوص الشعرية والنثرية وتقديمها والتعريف بها.
- 2- تشكيل صور عامة عن فنون وعصور وشخصيات وظواهر.
- 3- حصول تطور ملموس في الوعي النقدي وبأشكال البحث فيه.

¹د/ عبد الله ركيبي الشعر الديني الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ص 08

ثانيا: تحديث التجربة النقدية:

مع بداية الثمانينيات بدأ يتشكل إبدال جديد، ينهض على أساس رؤية مغايرة لدور النقد وطبيعة الأدب، وأخذ يسعى إلى تجاوز البحث في المؤثرات الخارجية للنص، بغية فهمه وتفسيره وتصنيفه وإبراز قيمته الجمالية، وذلك بتركيزه على ما يعبر عنه النص.

وما يحمله من قيم معرفية، وينادي بالاهتمام بالنص في ذاته بغض النظر عن خلفيته التاريخية، وصارت تبعا لذلك مقوله: النص ولا شيء غير النص ((يتمثل ذلك في هيمنة مرجعية جديدة ترتب بصورة خاصة في أعمال عبد المالك مرتاض، وتحضر من خلال هذا الإبدال مصطلحات جديدة مثل الخطاب والنص. البنية الوحدة، العوامل، الوظائف، الراوي بدل الكاتب. وبدأت تظهر تنويعات جديدة تتجلى في الحديث عن التناص، والبنوية، والتلقي والتأويل، والسياق، والكاتب وما شاكل هذه المصطلحات التي بدأت تهيمن على الدراسات النقدية الجزائرية الحديثة ((وفي ضوء هذا التصور الجديد دخل عبد المالك مرتاض عالم المناهج النقدية الحديثة التي تهب النص كينونته اللغوية المستقلة متحججا بأحدث المفاهيم الأسنوية))¹

وفي فترة وجيزة نقل النقد القديم من المنهج التاريخي إلى المنهج الحديث الذي يتناول النص، وتحققت فعالية هذه النقلة في ظروف قصيرة و بوتيرة متسارعة، وعرفت تحولا لم يعرفه النقد من قبل وكان ذلك من خلال ترهين العديد من الدراسات التي نعتبـرها تشكل مرحلة التجريب لهذه المناهج الحديثة، ويمكن التمثيل لذلك بالدراسات التالية:

الألغاز الشعبية الجزائرية، الأمثال الشعبية، النص الأدبي من أين ؟ إلى أين ؟ بنية الخطاب الشعري عناصر التراث الشعبي في اللاز ، الأمثال الزراعية .

بهذه الروح العلمية طبق عبد المالك مرتاض المناهج الحديثة متجاوزا في ذلك المناهج التقليدية القديمة داعيا إلى ضرورة ((الانصباب على النص وحده والاحتكام إلى العلم وحده، باعتبار أن الكاتب تنتهي مهمته الإبداعية بمجرد الانتهاء من العملية الإبداعية، فالاهتمام ينصب على عمله لا عليه))²

من خلال هذه الصيرورة نلاحظ فعلا أننا، أمام مسار متحول، فمن المبدع إلى النص، ومنه إلى السياق ومن البنية إلى الوظيفة، وهكذا نجد أنفسنا أمام مراحل تطورية مختلفة

¹ د/ يوسف وغليسي ، النقد الجزائري المعاصر من الأنصونية إلي الأسنية ، ص29.

² د/ عبد المالك مرتاض الألغاز الشعبية الجزائرية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص 7

قوامها التحول المنهجي، وتبعاً لهذا التطور في المسار النقدي تحققت تراكمات كمية ونوعية من الأعمال التي أنجزها عبد المالك مرتاض وأثبت بها حضوره في هذه المرحلة، فكان بمثابة الناقد الحصيف الذي ينظر إلى ماجد في مسرح النقد نظرة المتمرس فقد دعا إلى تجديد مناهج النقد العربي وأسهم في بلورة اتجاه نقدي عربي هدفه قراءة الأدب العربي قديمه وحديثه قراءة خلاقة يحاور فيها الناقد القارئ النصوص متعاطفا ومندھشا و مشاركا في إنتاج دلالتها متجاوزا الأحكام القيميّة التي عصفت بالنقد العربي ردحا من الزمن ، وهو اذ يدعو الى ذلك كما يبدو لايقاطع المناهج التراثية ، بل كان من القارئ لها و المشتغلين بهمومها ، لكن ينظر اليها بعين حدائثة مستعينا في ذلك بمفاهيم نقدية معاصرة لفهم الظواهر اللغوية والأسلوبية في النصوص و هو على يقين بأن بعض التقليديين (لا يستسيغون مثل هذه المناهج ، إذ ألفوا المنهج الإنشائي الذي يعتمد على الكلام و لاشيء وراء ذلك ولكننا نؤمن بأن النصر أبداً للجديد ولا سيما إذا كان جديدا لا يرفض القديم جملة وتفصيلا)¹

هذا التطبيق سمح له باقتراح قراءة جديدة للتراث العربي القديم حينما خص نص أبي حيان التوحيدي بدراسة نصية مطولة أسماها تشريحا الذي جعله بديلا للشرح والتحليل. وهو بذلك يستعير المصطلح من الناقد السعودي عبد الله الغدامي. غير أنه لم يوفق توفيقا كاملا في اصطناع المنهج البنيوي في هذه الدراسة، بل ظل مراوحا بين البنيوية والأسلوبية من منظور واحد ، يتزاور فيه المصطلحات الألسنى و النحوي، وتتعايش فيه الثقافتان الحدائثة والتراثية تعايشا سلميا نابعا من شخصية الناقد لم ((يكن الدكتور مرتاض في كتابه النص الأدبي من اين إلى أين ؟ بنيويا بالمفهوم الخالص للبنيوية المدرسية و لم يكن منتميا إلى الأسلوبية ذلك الانتماء المدرسي ...وقد استطاع أن يتمثل أحدث أساليب النقد الأوروبي الحديث مع استعداد صادق وأصيل لكي يوظفه توظيفا عربيا ويرفد به ثقافتنا النقدية الحائرة بين القديم والجديد، وبين الأصل والوافد.))²

يتبين مما سبق أن الناقد يستفيد من المعرفة النظرية الغربية في تجديد أسئلة القراءة وأدوات البحث والتحليل. ولعل ذلك ما أتاح له أن يطبق المنهج الأسلوبي والبنيوي

¹ المرجع نفسه ، ص 8

² د/ عبد العزيز المقالح قراءة أولى في نموذج أدب المغرب الكبير ط1 دار التنوير للطباعة و النشر بيروت ص

على دراسته في ((بنية الخطاب الشعري)) لقصيدة أشجان يمانية. وقد أشار بنفسه إلى هذا المنهج ((لا أنكر أنني ركزت على الجانب الأسلوبي على الأسلوبية، فاستخدمت المنهج الأسلوبي أكثر مما استخدمت المنهج البنيوي في تشريح هذه القصيدة في كتابي ((بنية الخطاب الشعري))¹

بهذه الطريقة استطاع الناقد بحذاقته ومستوى ذكائه في القراءة والتشريح أن يضعنا أمام قراءة جديدة تعتمد المناهج النقدية الجديدة المنتشرة في الثقافة الغربية، فهو سريع الانتقال من قضية إلى أخرى، و من منهج إلى آخر في تحليلات و تطبيقات في مستويات متعددة و في استيعاب كامل جعله قادرا على التحول وتجاوز الذات.

ثالثا: مرحلة تجاوز الذات :

لقد استطاع عبد المالك مرتاض أن يضيف أشياء كثيرة للنقد الجزائري و أن يحدث مناهجه، و قد طبق على ذلك في مجالات أدبية مختلفة في القديم و الحديث والشعر و في النثر و في القصة و الرواية و الأدب الشعبي مستفيدا في ذلك من المناهج الغربية الحديثة نتيجة انفتاحه على الثقافة الفرنسية التي أصبحت صلتها بها قوية و متينة عبر مختلف القنوات الثقافية بالرغم من ذلك فإنه ظل وفيا لنقافته الأصلية التي ما فتئ يسخرها لتذليل كثير من العقبات التي تعترض سبيله ، على مستوى اللغة و المصطلحات النقدية مما أهله لأن يبدع مصطلحات جديدة و يتجاوز المفاهيم القديمة مثل الشكل والمضمون، و المتلقي و النص. و بدأ يصطنع لنفسه منهجا مركبا يقوم على المزوجة بين السيميائية و البنيوية على نحو ما فعل في كتابه حمال بغداد ، وهي إحدى حكايات ألف ليلة و ليلة فكان أن شرحه من حيث الحدث و الشخصيات، و الحيز، و الزمن وتقنيات السرد و بنية الخطاب و المعجم الفني .²

لقد حصل تطور ملموس في وعيه النقدي ، و بطريقته في البحث و برز ذلك بجلاء في كتبه اللاحقة وأفضى ذلك إلى جملة من النتائج القيمة التي ما كان ليبلغها لو لم يكن يؤمن بالتحديث ، و هو ما جعله يعيد النظر في كثير من المسلمات التي قرأها باحثون سابقون بشأن هذا الأثر. ومن ذلك تسليمهم بأن ألف ليلة و ليلة وهي عبارة عن

¹ د/ جهاد فاضل ، أسئلة النقد، حوار مع الدكتور عبد المالك مرتاض ، سلسلة النقد ، الدار العربية للكتاب ببيروت

² د- عبد المالك مرتاض ألف ليلة وليلة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1993 ، ص 15

ثقافات مختلفة و من شعوب لا حصر لها، بيد أنه بعد تفكيك هذا الأثر و إبراز البيانات المميزة للنص و الكشف عن خصائصه الفنية توصل إلي أن هذا العمل كان من إنتاج كاتب عربي كان يعيش في بلاط هارون الرشيد، و تشبع بثقافة عصره التي كانت تزخر بمختلف المعارف و الثقافات فأنتج هذا العمل الأدبي و الفني الرائع الذي أصبح محل اهتمام معظم الثقافات العالمية. غير أن هذا الزعم فيه جانب من المبالغة ذلك لأن كتاب ألف ليلة وليلة، هو مجموعة من القصص تعكس ثقافات متعددة، مما يعني أن روائها متعددون. وقد خضعت هذه الرواية لأهواء الرواة بالإضافة أو الحذف ومن ثم أصبح الجزم في العملية السردية بأنها تعود لشخص ما أمر صعب التحقيق فيه، هذا يؤكد أن العمل الأدبي ((يبلغ من الكثافة والتعقيد بحيث لا يكفي أن نستنتجه بطريقة واحدة، كما يؤكد سعة الأفق فكريا وجماليات التي تميز متلقي الأعمال الأدبية بحيث يتعامل معها في كل مرة من جانب غير الجانب الذي كان قد تعامل به معها في السابق، كما يؤكد على تنوع المتلقين وتنوع الحساسيات الجمالية.¹

ولعل ذلك ما يعنيه بقوله ((من اجل ذلك كله نجنح لتعددية القراءة، وتعدد الثقافات واختلاف الأزمنة وتباعد الأمكنة، كما نميل إلى تعددية هذه القراءة بالقياس إلى الأجناس الأخرى من الفنون²

ومن هنا نفهم أنه لا يوجد معنى حقيقي للنص، لأن المعنى الأدبي يتهرب باستمرار ويتعالى على كل نقد مسطح، لأن المحك الأساسي لقيمة النص هو أنه متحرك ليس له معنى مسبق ويتجدد مع كل قارئ بشكل جديد.

وإذا انتقلنا إلى عمل نقدي آخر من أعمال عبد المالك مرتاض الذي يتجسد فيه المسار المتحول والوعي بالذات كتابه (أي) الذي يقدم دراسة سمائية تفكيكية لقصيدة أين ليلالي لمحمد العيد آل خليفة برؤية منهجية متطورة تتبني على شكل جديد من التفاعل الإيجابي الذي يساهم في تطوير وعينا ومعرفتنا بالنص وتغير مسارنا يجعله ينتقل من القديم ويتحول نحو الجديد من المناهج. هذا هو التحديث الذي أسست له دراسات عبد المالك مرتاض منذ بداية التسعينيات، لكن ظروف الثقافة لم تسمح بظهور هذا التحديث

¹ د/ عبد الله العشي، زحام الخطابات، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو 2005 ص8

² عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي لقصيدة شناشين إينت الجلي، دراسة منشورات إتحاد الكتاب العرب ،

دمشق 2005، ص19

وتبلوره وهيمنته إلا في السنوات الأخيرة، حيث اكتسح هذا الإبدال الساحة الثقافية والفكرية تحت اسم التحديث وبذلك استطاع الناقد أن يصطنع لنفسه منهجا مركبا من عدة مناهج (كاسميائية والتفكيكية). لأنه يؤمن بأنه لا يمكن لمنهج واحد أنه يقوم بالعملية النقدية وحده فهو يأخذ بمحاسن المنهجين دون أن ينسى الخلفية التراثية وهذا ما يعني استيعابه للمناهج الغربية استيعاب العارف الخبير الذي يجرب ثم يبدي رأيه، فهو يرجع إلي التراث لمحاورته و التواصل معه لا لتغليب على المعاصر أو التعصب له بل من أجل خلق رباط يزيد من تواشج العلاقة بين الماضي والحاضر .

هذا بالإضافة أنه يعد من النقاد الأوائل في الجزائر الذين استخدموا جهازا مصطلحيا خاصا به مثل السميائيات، والنقويض بدل التفكير و التشريح بدل التحليل إلى غير ذلك. من المصطلحات التي استخدمها وأخضعها للقياس اللغوي، فدخل بذلك مرحلة الوعي الذاتي الذي يعني إنتاج أفكار خاصة به. ولكن ليس الدافع إلى ذلك هو تقليد الفكر الغربي، ولا التراث العربي، وإنما الوعي الذاتي والإحساس بالنفس بأن لها كيانا مستقلا له شخصية منفصلة عن الآخر، فيقول ((أنا أرفض بدون تردد أن نقلد المناهج الغربية أن نأخذها كبضاعة، كا لبضائع الكمالية التي نشترىها من الغرب، ونحن أن لم نفعل ذلك فلا ينبغي أن نعد أدباء ولا نقادا. وإنما سنعد من المجترين ومن المتخلفين.¹

فبعد المالك مرتاض يرفض التبعية الذهنية للثقافة الغربية وتكريسها دون إدراك لاختلاف المعرفي بيننا وبينها. ((غير أن هذا الوجه يصعب الأخذ به بدون تحفظ، لأنه يخالف الواقع الثقافي المعاصر، كما يخالف الممارسات النقدية التي أجراها مرتاض في بعض كتبه التي لم يتردد في الإقبال على المناهج الغربية والنزعات النقدية السائدة في فرنسا والعالم، لاسيما كتابيه، بنية الخطابة العربي، والنص الأدبي من أين ؟ إلى أين ؟²

ولكن السؤال المطروح هل نعزل أنفسنا عن التيارات الثقافية النقدية العالمية ونحبس ذواتنا داخل ثقافتنا خوفا من التماهي فيها. ولكن الذي نراه صوابا هو أن نفيد من فكره ومناهجه وأن نحسن استخدام هذا الفكر واستغلال هذه المناهج و عيار هذا الحسن أن

¹ د/ جهاد فاضل، أسئلة النقد، الدار العربية للكتاب ص 24.

² د/ علي خذري، البحث الأدبي الحديث في الجزائر، مدخل إلى الاتجاهات النقد ديوان المطبوعات الجامعية. 2004، ص 151.

يتحصن الناقد بثقافة تراثية نقدية عربية ممتازة تمكنه من إقامة المعادلة الناجحة ما بين الأصالة والمعاصرة.

رابعاً: الآفاق

شكلت مدرسة عبد المالك مرتاض النقدية آفاقاً واسعة ورؤية نقدية تفاعلية بين النقد الجزائري المعاصر والنظريات الغربية الممثلة في المناهج، انطلاقاً من الوسائل التي استخدمها، بانفتاحه على الثقافة الفرنسية والتعامل معها مباشرة عن طريق المجالات والكتب باعتبارهما منتوجاً قابلاً للتداول والاستهلاك، وهذا بالإضافة إلى تنقله بنفسه إلى هذه الديار، والاحتكاك، بأهلها والإقامة بينهم إلى والاستماع إلى متفقيها ومحاورتهم، مما جعله يحقق كثيراً من النتائج العلمية تمثلت في الكمية والنوعية الهائلة من الكتب التي ألفها في هذا المجال. وهو في تحوله هذا يراكم في كل حقبة أشياء جديدة، وعلى أساسها يتحقق الانتقال إلى حقبة تالية، وذلك بالاستفادة من طريقة البحث التي ينتجها الغربيون وليس من نتائج أعمالهم ولعل ذلك ما جعله يؤسس إتجاهاً نقدياً من خلال دعوته إلى :

- 1- فتح الباب أمام الدارسين المحدثين للدخول إلى عالم الحداثة والتحرر من التبعية التقليدية والتحول إلى نقاد أحرار يتجهون الوجهة التي يرونها مناسبة لمؤهلاتهم العلمية
- 2- التأسيس لمنهج نقدي خاص به تتجمع فيه مجموعة من المناهج (السميائية ، التفكيكية، التأويلية ...)

دون أن ينسى الرجوع إلى التراث لمحاورته والتواصل معه علي نحو ما نرى في كثرة إخالته على الجاحظ وابن قتيبة، وابن سلام ، و الجرجاني وغيرهم ، وهذا راجع في نظري إلى عدة اعتبارات نذكر منها :

- المكانة المعرفية التي يشغلها الباحث الناقد عبد المالك مرتاض في حقل البحث العلمي بالجامعة الجزائرية ، حيث يعتبر من مؤسسي هذه الجامعة الحديثة ولتقاليد البحث العلمي فيها تدريسا و تأطيرا و إشرافا وتسييرا ودفاعا عن قيمها الأدبية والعلمية، وهي مكانة معرفية أهلتها لأن يكون مصدر ثقة وحجة علمية من قبل طلاب المعرفة والعلم، وداخل فضاء هذه الجامعة ،ساهم وبشكل وافر في تأسيس نوات الأدب الحديث وانفتاح هذه الجامعة على منجزات ومحصلات المعرفة الإنسانية.

- التكوين العلمي الرصين الذي يحدد الأستاذ عبد المالك مرتاض كباحث كفاء في مجال الأدب، ونظرياته، وكفاريء عارف وممتلك لخبايا نسيج النصوص الإبداعية، فالتمثيل النظري والتطبيقي وحصافة القراءة وبلاغتها من السمات الأساسية في هذا التكوين العلمي - المساهمة الفعالة للباحث الناقد، في ميدان الممارسة الثقافية وتوجيه مساراتها النظرية والنقدية والقيمية في الواجهة التي يرتضيها إنتاج المعرفة المعاصرة والانخراط في الحداثة والعقلانية وتلك هي الاعتبارات التي يتميز بها الباحث، والتي بموجبها شكل لنفسه شخصية متميزة داخل الانتاج النقدي الجزائري المعاصر، وتأسيس وعي نظري في نقد الخطابات الثقافية والأنساق الذهنية .

هذا هو الوعي الجديد الذي بإمكانه أن يدفع في اتجاه تحقيق التفاعل الإيجابي مع النص ومع المناهج والمعرفة ومع الواقع. ومع اعترافنا بقدرته على التفاعل مع الثقافة الغربية والكتابة في كل شيء وفي كل الأشكال الخطابية إلا أننا نرى أنه لو تخصص في الأدب الجزائري وحده وقدم مشروعا ثقافيا متكاملا خاصا به على غرار ما فعل الدكتور سعد الله في مشروعه " تاريخ الجزائر الثقافي" لأجاد وأفاد لنهض بالنقد والنقاد. ومع ذلك فإن هذا الجهد الذي بذله الناقد أسس لمدرسة نقدية جزائرية بدأت ملامحها تظهر في أعمال مجموعة من النقاد المعاصرين الذين أخذت أعمالهم تأخذ مكانتها في الساحة النقدية من أمثال عبد الحميد بورايو في دراساته للنصوص الشعبية مثل القصص الشعبي في منطقة بسكرة الذي حللها وفق المنهج البنوي وقد أثبتت هذه الدراسة قيمتها العلمية وصيرورتها الفنية، وإن لم يكن قد تتلمذ على يده، وإنما كل منهما قد تخرج من المدرسة الفرنسية. كما يظهر هذا الاتجاه أيضا في كثير من التماثل والهضم والإيمان بالذات والهوية في دراسة حسين خمري في كتابه فضاء المتخيل، مقارنة في الرواية، إضافة إلى مجموعة من النقاد المحدثين الذين تأثروا باتجاهه دون أن يدرسوا في الغرب وكان سبيلهم إلى ذلك إطلاعهم على المؤلفات النقدية المنقولة إلى العربية، ومواكبة الحركة النقدية الحديثة من أمثال عبد القادر فيدوح، في مصنفه دلالية النص الأدبي، وعبد الله العشي، في كتابيه زحام الخطابات، وأسئلة الشعرية، ويوسف وغليسي في مؤلفه الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض، وأحمد يوسف في كتابه القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة. وأمنة بلعلى وغيرهم من النقاد المعاصرين الذين يتشكل منهم هذا الاتجاه.

غير أن التجربة النقدية المعاصرة في الجزائر لم تتبلور بعد، على النحو الذي نجده في المغرب وتونس.

ولكن هذه العلامات التي تظهر من حين لآخر تبشر بمستقبل واعد وتسعى إلى تجاوز الحاضر، بل ربما تؤسس لمؤسسة نقدية جزائرية تعمل على تطوير الممارسات النقدية في المستقبل وتهيب نفسها لتتخرط في تيارات الحداثة وما بعد الحداثة.

مراجع البحث:

- 1- د/ محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979.
- 2- د/ عبد الله ركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
- 3- د/ محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المغرب الإسلامي ط1 لبنان 1985.
- 4- د/ بلقاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث دار الأدب دار الآداب بيروت 1966.
- 5- د/ علي خذري، البحث الأدبي الحديث، مدخل إلى الاتجاهات النقدية، ديوان المطبوعات الجامعية 2004.
- 6- د/ عبد الله العشي، زحام الخطابات ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو 2005.
- 7- د/ عبد المالك مرتاض - الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982.
- 8- د/ عبد المالك مرتاض، ألف ليلة وليلة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1993.
- 9- د/ عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي لقصيدة شناشين ابنة الحلبي دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005.
- 10- د/ عبد العزيز المقالح، قراءة أولى في نماذج من آداب المغرب الكبير، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1987.
- 11- د/ جهاد فاضل، أسئلة النقد، حوار مع عبد المالك مرتاض، سلسلة النقد، الدار العربية للكتاب.

- 12- د/ حسين خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف ط1، 2002 – الجزائر.
- 13- د/ آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي، في ضوء المناهج النقدية المعاصرة منشورات الاختلاف ط1، الجزائر.
- 14- د/ يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من الانسوية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية ط1. الجزائر.
- 15- د/ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافة ط1. الجزائر.
- 16- د/ أحمد يوسف، القراءة النسقية ، سلطة البنية و وهم المحايثة، منشورات الاختلاف ط1 – الجزائر.